جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

بلاغة الحجاج في سورة القلم مقاربة تداولية

الدكتور

فوزي علي علي صويلح

أستاذ البلاغة والنقد المساعد- قسم اللغة العربية
كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، السعودية
قسم اللغة العربية- كلية الآداب جامعة إب، اليمن

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

بلاغة الحجاج في سورة القلم مقاربة تداولية

ملخص: يدور البحث حول بلاغة الحجاج في سورة القلم؛ اعتمادًا على سَوق معلوم للحيثيات المعرفية، والمبادئ التداولية التي انطلقت منها نظرية البلاغة الجديدة في بناء صرحها، وإقامة دعائمها، على نحو ما جرت مقاليده لدى بيرلمان وتتيكاه، التي ارتسمت بمقتضاها صورة جلية لنظرية الحجاج في ثوبها الجديد. وجدة النظرية أو التحول النوعي الذي حققته طبقًا لمواصفات البلاغة الجديدة يكمن في التقنيات التي بثها في سياق تحليل الخطابة، واستكشاف بنياتها الإقناعية، وتأثيراتها المتوقعة.

وعلى هذا المنوال؛ فقد مضى البحث في استكشاف تقنيات الحجاج وأساليبه في سورة القلم، وهي في المراد لا تخرج عن همَّ البحث البلاغي الجديد في الخطاب القرآني؛ عسى أن نهتدي بهذه التقنيات إلى مصادر الطاقة الإقناعية وفهم أسرارها المؤثرة في المتلقي. على أن هذا التفكير الذي يشع من حديثنا يتآزر منطقيًا ولطائف التفسير التي اهتدى إليها المفسرون في سياقاتها الموضوعية.

الكلمات المفتاحية: سورة القلم، بلاغة، الحجاج، الشخصية، المثال، المخاتلة، المتحولة

دكتور

فوزي علي علي صويلح

أستاذ البلاغة والنقد المساعد- قسم اللغة العربية
كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، السعودية
قسم اللغة العربية- كلية الآداب جامعة إب، اليمن
Email: fa.swelh@yahoo.com

Abstract

The eloquence Argumentation in Surat al-Qalam

The research focuses on the eloquence Argumentation in Surat al-Qalam, based on a well-known style of epistemological knowledge and pragmatic approaches from which the theory of new rhetoric stemmed in the construction of its pillars and its foundations, as was the reins of Perelman and Tyteca, according to which a clear picture of the theory of Argumentation in its new form. According to the criteria of rhetoric, the theory or qualitative transformation it has achieved lies in the techniques it the popularized in the context of rhetoric analysis, exploring its persuasive structures, and its expected impact.

In this regard, this paper has tried to investigate the mechanisms and methods of Al- Argumentation in Surat Al-Qalam, which is not intended to deviate from the new rhetorical research in the Qur'anic discourse. However, this method is followed as a guide to the persuading power and how it influences the reader. The approach followed goes logically along with the interpretation which the interpreters followed in their objective contexts

Keywords: Surat Al-Qalam, Rhetoric, Argumentation, Example, Trickle, Transformation

Dr.

Fawzi Ali Ali Swaileh

, Assistant professor of Rhetoric and Criticism, King Khalid University, KSA; College of Arts, Ibb university, Yemen.

Email: fa.swelh@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من المبادئ الأساسية والمنطلقات المعرفية التي اختصها بيرلمان وتيتكاه بالعناية في البلاغة الجديدة أن "أسلوب الحجاج هو البديل الأنجع لظاهرة العنف" (١) ، إذ يفتح في الخطاب- أي خطاب- آفاقًا من التواصل والتفاعل الخلاق بين طرفي التخاطب، بمنأى عن القهر والاستبداد، أو مصادرة الحقوق والحريات؛ ذلك لأن الحجاج ينزع فتيل العنف في الحوارات والسجال بين المتخاطبين؛ فيقوم على تقديم الحجج المنطقية، وشبه المنطقية كوسائل دامغة لإقناع الآخر، وإثبات الاستحقاقات لأهلها، أو رد المظالم إلى أصحابها، أو التنوير الرشيد لما اشتبه من الأفهام، أو ما اشتبك من الحلول.

وفي الخطاب القرآني يعد هذا المبدأ من أصح المبادئ الحجاجية التي تضمنته الآيات، وحملته المقاصد القرآنية، قال تعالى: "أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" سورة يونس، ٩٩، وقوله تعالى: " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ " سورة الغاشية، ٢١-٢٢، وقوله تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى" البقره، ٢٥٦. هذه المتوالية الحجاجية تؤسس في الذات الإنسانية – من خلال هذه الآيات وغيرها- لقواعد راسخة في علاقتها مع الآخر، بمنطق التعقل والحوار؛ إيمانًا بأن الإصلاح بمنطق الإقناع والدليل والحجة أسلم وأنجع من الإكراه والمغالبة، لذلك يتضمن القرآن الكريم خطابًا وظيفيًا، على أنه "تغيير لوضع، وحل لمعضلة، ونبذ للعنف الذي هو عكس الحجاج واستجابة لسؤال أمة. وكلها وجوه ذات علاقة بالحجاج"(٢). كما أن" الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها؛

فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان، ونبذ العبادة الضالة، واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم، وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم؛ الأمر الذي يعكس الغرض المنوط بأحوال المجتمع في مراحل الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلة بعضها عن بعض؛ لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتخليصه من تسرب الضلالات." [٣] وهذه المضامين هي ثمرة العلاقة الوثيقة بين الأسلوب القرآني وحجاجه، باعتبار أن "مظاهر الأسلوب القرآني ذات بعد حجاجي وبيان ذلك، والبرهنة عليه بالدرس والتحليل مفضٍ حتمًا إلى اعتبار الأسلوب والحجاج في القرآن أمرًا واحدًا؛ فالأسلوب حجاجي، والحجاج يحمله الأسلوب. "[٤]

على هذا النحو؛ فإن مهمتنا تتوخى في جوهر هذا البحث فك الاشتباك بين ثنائية الإقناع الحجاجي والإمتاع البلاغي، أو بوجه آخر الإفادة من هذه الثنائية في سياق حل الإشكالية المتحققة في دراستنا والدراسات السابقة، وهي من البواعث التي كانت سببًا في كتابة هذا البحث، ومقاربة الظاهرة الحجاجية في سورة القلم؛ ذلك لأن الدراسات السابقة خطت مسارها في ضرب الأمثلة والشواهد البلاغية على النحو الآتي:

الأولى: دراسة حسان(٢٠٠٩م): (البلاغة القرآنية في سورة القلم)، هدفها تحصيل الفائدة وبيان البلاغة القرآنية من خلال المباحث الآتية: الأول من ١- ١٦: إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، الثاني من ١٧- ٣٣: قصة أصحاب الجنة "، الثالث من ٣٤- ٤٣: قانون الجزاء الرباني للمؤمنين والكافرين "، الرابع من٤٤-٥٢ الثبات والصبر في نشر الدعوة الإسلامية.

الثانية: دراسة الشهراني (٢٠١٠): (التطور الدلالي في سورة القلم). هدفها البحث في جانب التطور الدلالي وتطبيقاته من خلال سورة القلم، والإسهام في الكشف عن وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، وقد توصل إلى النتائج الآتية: اشتمال سورة القلم على عدد من الشواهد المهمة في باب التطور وأهمية دراسة التطور الدلالي في القرآن كله، ولم يسند نتائجه بالبيانات الكافية والمعلومات الوافية، وربما اكتفى بما سجله من نتائج مبثوثة في متن البحث.

الثالثة: دراسة السلمي (٢٠١٢م): (جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم). غايتها دراسة القصة القرآنية دراسة بلاغية أدبية وفق رؤية تراعي وضعه المقدس، وتأخذ في الحسبان خصوصيته التي تميزه عن غيره من النصوص البشرية. وخلصت في أهم نتائجها إلى تجسيم المعاني وتصوير الخواطر وبراعتها في العرض والأداء؛ مما أكسبها طاقة تأثيرية وإقناعية في نفوس المتلقين(٥).

الرابعة: مريني (٢٠١٣م): (تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم) . البحث محاولة لاستجلاء الجوانب اللغوية والأسلوبية لسورة القلم، من أجل الكشف عن الجوانب التصويرية في الأداء اللغوي القرآني. وانتهى إلى نتيجة مجملة يرى فيها أن كل شيء في سورة القلم بميزان: حروفها في كلماتها، وكلماتها في جملها، وجملها في تراكيبها المختلفة.. كل شيء يوحي بهذا التفرد وهذه الخصوصية التي يتميز بها النص. وكأن اللغة العربية- على سعتها- ضاقت حتى ليس فيها لمعانيه غير هذه الحروف وهذه التراكيب بأعيانها.

* * *

وبمقتضى ما ورد في الدراسات السابقة، وبيان اتجاهات البحث فيها؛ فإن إشكالية بحثنا تكمن في الوعي السائد والأحكام التي نصت على أن الإعجاز البلاغي في سورة القلم على وجه خاص منوط بأساليب البلاغة العربية، إذ ساقت العديد من الشواهد والأمثلة على ذلك، وكلها مقدرة، ولها وجاهتها في هذا المساق؛ ولكنها لم تتعمق بما يكفي لاستكشاف الملمح الإعجازي والأثر الإبداعي في السورة بوصفها أنموذجًا للخطاب القرآني الكريم. الأمر الذي يجعلنا معنيين بآليات بتقنيات الحجاج وأساليبه وآلياته كصورة بهية للبلاغة الجديدة، التي نروم بها تقديم مقاربة ناجعة تبرز هذا الملمح، وتكشف عمق هذا الأثر. وعلى هذا النحو الذي يرام له تقريب المسافة واختصار الزمن بين النص القرآني وأسراره في هذه السورة، سينقلنا الاشتغال بأسرار الإعجاز البلاغي، ومقاربة أبعادها الحجاجية في السورة من دائرة المعالجة النظرية المخصوصة بالأفكار السابقة إلى دائرةٍ أكثر عمقًا، وأقوى تأثيرًا في التصوير والتعبير. ومن ثمَّ نتربص بالمشكلة من أبواب كثيرة، أقواها وأغناها مركوز على الحجج المؤسسة لبنية الواقع، كحجة العناية الإلهية، حجة المعرفة، حجة الصراع، حجة الجزاء، والأنساق التصويرية المضمرة، نحو: صورة الشخصية المثال، صورة الشخصية الجاحدة، صورة الشخصية المتحولة. وتتكامل هذه المساقات وفق نسقية متوازية، تتكامل في مطلع السورة، ومتنها وخاتمتها على نحو ما سنرى في المباحث القادمة.

في ضوء ما تقدم؛ فإن الدراسة تخط مسارها طبقًا لأسئلتها، التي تختزن طبيعة المشكلة، وتفتح مسارب النظر في زوايا كثيرة من حلقاتها الموضوعية و الفنية، على النحو الآتي: (ما التقنيات الحجاجية التي أثمرت

عنها نظرية البلاغة الجديدة في سورة القلم؟ وأين تكمن فاعليتها الإقناعية؟ وما الفائدة الحجاجية التي يحققها البحث في الخطابات المعاصرة على نحو ما بدت ملامحه في هذه السورة الكريمة؟

تستمد الدراسة قيمتها العلمية من طبيعة الاشتغال الفكري والنفسي، والنشاط السلوكي، والنظم المعجز، الذي انعقدت عليه في مقاربة الصورة الإنسانية بأنماطها الثلاث، وهي الصورة المثالية والقدوة المدهشة التي استحقها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونال بالقسم الإلهي شهادة ربانية ومنزلة عليا في ميزان البشرية، وفي المقابل كشف القناع عن الشخصية المخاتلة، ومراميها، وقوَّض من خلال الخطاب أفعالها ومساعيها ضد النبي والرسالة، وبدت ملامح شخصية ثالثة تمايزت بين الفساد والتحول، وما لبث أن تشكلت منها صورة إيجابية متحولة، ترسمت في تحولها مسلك التوحيد الخالص والتسبيح والنفس اللوامة. كل ذلك بدا في معطياته مسنودًا بتقنية حجاجية تتسم بالتواصل والتفاعل، كما تتحقق فيها شروط الفاعلية والحافز الإنساني، من حيث الحجج المنطقية وغير المنطقية، أملكها حضورًا: حجة العناية الإلهية، وحجة المعرفة وحجة الصراع، وحجة الجزاء الإلهي، تلك هي الحجج التي اكتسبت منها الدراسة أهميتها، واستحقت مقاربتنا على هذا النحو التداولي.

والجديد في هذه الدراسة أن الحجاج في سورة القلم يتجه في مسار مغاير للدراسات السابقة من حيث توسيع دائرة المفهوم المعرفي للبلاغة إلى رحاب أوسع من الفهم والإدراك، إذ يتتبع عبر آليات الحجاج بكل ما يفضي إلى استكشاف ملامح الإعجاز في الخطاب القرآني، ويروم الكشف عمّا يؤسس في الوعي الإنساني لتعديل السلوك، والانتقال من دائرة الصورة

البيانية والعبارة اللغوية والمحسنات البديعية إلى دائرة الحجج المؤسسة لبنية الواقع، الذي يتحول طبقًا لمنهاج البناء الحجاجي في السورة إلى منهج حياة وأسلوب في الفكر والفعل، ونوع من النظام والتوازن في المقاصد والتواصل مع الآخر والتفاعل مع حججه.

وفي ضوء الأدبيات السابقة، من المشكلة والفرضية والتساؤلات، والأثر المتحقق من أهمية البحث، نجد أنفسنا في هذه الدراسة معنيين بإنجاز الأهداف الآتية:

- الكشف عن تقنيات الحجاج في سورة القلم، والوقوف على الحجج التي انطلقت منها في خطاب الأمة المحمدية، بمقاصدها الفكرية والإنسانية، وحلقاتها الإقناعية المؤثرة.

- إضاءة الصورة الحجاجية، وما يلحقها من الخصائص التداولية في سورة القلم، وأنماطها التي رسمت صورًا جلية للنماذج الإنسانية في السورة عمومًا، وفي القصة القرآنية على وجه الخصوص.

- رصد أهم نتائج مباحث الدراسة وأثرها الحجاجي في تشكيل الوعي النقدي في الخطابات المعاصرة على نحو ما بدت ملامحه في هذه السورة الكريمة.

يعتمد البحث المنهج التداولي عمدة في هذه الدراسة، باعتبار الثوابت التي استقرت في وعي المختصين وتنظيراتهم، إذ من الثابت في الأدبيات التداولية المعنية ببلورة المفاهيم والتعريفات ارتباط التداولية بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، على نحو يجعل "الحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينهم قواسم حجاجية مشتركة، إذ يمتلك

المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية، ويستعمل في حجاجية اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الآخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات.[٦] وعلى الرغم من معرفتنا بهذه الآليات التي اشتغل بها بيرلمان وتتيكا إلا أننا أخذنا بمبدأ القيمة الحجاجية؛ بوصفها آصرة القراءة، وتعبر عن وروح المنهج التداولي في مقاربة الحجاج، وصبغته الإقناعية؛ تقديرًا لجلال النص القرآني وقداسته في سورة القلم، وهذا الإجراء يجري وفق نسقية متوازية مع تقنيات الحجاج الأساسية، ومنها الحجج شبه المنطقية المؤسسة لبنية الواقع، باعتبار أن القرآن يؤسس للفضائل الأخلاقية في نفوس المتلقين، ويقوض العنف بالدعوة إلى التسامح، وتقدير الآخر، ويغري بالحوار والتواصل البشري الأمثل؛ الأمر الذي فرض علينا تقاربًا في الهيكلية، طبقًا لمواصفات المنهج، وأبعاد النظم في السورة، وهي- في تصورنا- لا تخرج عن تمهيد ومبحثين، ينهض التمهيد بمعالجة المصطلحات، وبيان ملابساتها المعرفية، أما المبحثان: فالأول سيدور حول متوالية الحجج التي استقامت صورتها وأخذت حظها من الخطاب القرآني في السورة، وهي: حجة العناية الإلهية، وحجة المعرفة، وحجة الجزاء الإلهي، وحجة الصراع، وانعقد المبحث الثاني للوقوف على بلاغة الصورة وأثرها الإقناعي، وهو الملمح البحثي الجدير بالمقاربة في هذا البحث لجدته، ومسار اشتغاله، وقد بدت مساقاته المعرفية في ثلاث: صورة الشخصية المثال، وصورة الشخصية المخاتلة، وصورة الشخصية المتحولة، وكلها مباحث مبنية على أسس حجاجية، تلفها استراتيجية إقناعية، تستمد فاعليتها من وحي السورة، ومن مقاصدها، ومن أبعادها التداولية.

التمهيد

١- سورة القلم.. التسمية والمقاصد

ما تناصرت له الآراء، واجتمعت على صحته الروايات لدى المفسرين أن سورة القلم – بلا خلاف بين أهل التأويل – مكية النزول(٧)، وعدها جابر بن زيد السورة الثانية التي نزلت بعد سورة العلق وسورة المزمل، ثم سورة المدثر (٨) وهذا يدعم مسار الحجاج القرآني في السورة، بما هي عليه من البلاغة الجامعة والحجاج المؤثر، إذ حفيت بذكر القلم كوسيلة أخرى من وسائل المعرفة، التي سبق ذكر طرفها الآخر في سورة العلق، ونقصد القراءة، فتكاملت الرؤية واختصت الهدف. أما سبب النزول فلم نطمئن إلى ما ذكره الواحدي بأن إصابة النبي –صلى الله عليه وسلم– بالعين من قبل الكفار هي السبب في نزول هذه السورة(٩)، إذ الأمر – في تصورنا– أكبر من العين، وهو ضبط المسار الفكري، وصلاح الاعتقاد في المجتمع المكي، وتهذيب الأخلاق وتنقيتها من الضلالات، والتصورات الفاسدة التي عاشها العرب. والأمر كذلك معني بالتشريع، وإثبات حق النبوة في الدعوة إلى الله، وتحمل المسؤولية أمام الخالق عز وجل، في استقامة الأمة، وإحداث التحول المنشود في حياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وهو الطابع الحجاجي الذي يقنع المتلقي، ويتأثر بمقاصده. لذلك قدم الخطاب القرآني في سورة القلم الحجج الكثيرة، مؤيدًا بذكر قصص الأولين، كأصحاب الجنة، وقصة يونس (ذي النون) عليه السلام. وذكر بعضهم في أسباب نزولها أنها نزلت "في الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبى جهل بن هشام المخزومي.

ومناسبتها لما قبلها مبنية على ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة، وعلمه الواسع.(١٠)

هذه الأفكار حول أسباب النزول، وما اختصت به السورة من المقاصد، والحجج التي نهض بها خطاب السورة لمقارعة الخصوم يجري ضمن استراتيجية حجاجية، أو مشروع قرآني لتحقيق الإقناع، على النحو الذي يمدنا بالإيمان واليقين بأن لغة القرآن، وحجاجيتها في سورة القلم، وغيرها من السور هي التي سحرت ألباب العرب، وغدت سرًا من أسرار الإعجاز البياني، وتفاعلت لغة العرب مع ظاهرة الإعجاز، وزادت العناية بها، فقد" بلغت الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بُلْغتها، حتى أدركت هذه اللغة أشدها ؛ وتم لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها."(١١)

٢- نظرية الحجاج.. المفهوم والوظائف التداولية:

يستمد الحجاج دلالاته المعجمية من مادة (حَجَجَ) ، التي استوت عليها المعاني واستقامت فيها المرجعية اللسانية، ومظهر دلالتها في المعجم – كما بدت في لسان العرب– مؤشر على الإقناع والتأثير في السامع، باعتبار أن الحجاج قرين الحجة والجدل(١٢). وهو وجه آخر للدليل والبرهان، إذ تتلاقى في دلالة المادة معاني (الحجة، الجدل، التخاصم، الدليل، البرهان)، وهي مفردات تلاقت في دلالتها مع جهود المرجعيات الاصطلاحية الحديثة. بوصفها موجهة نحو تأكيد قضية معينة أو دحضها، أو تفنيدها، والدليل عملية التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة. تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها. والبرهان عملية استنباط يوجه لتأكيد نتيجة أو إثباتها، بمعيار الصدق أو الحقيقة (١٣). وإدراك المفاهيم

النوعية التي اختصت الحجاج بالمقاربات الحديثة يسلمنا إلى فرضية حديثة لا فكاك عنها من التبصر في مضامين الظاهرة الحجاجية، وآثارها الإقناعية، وفرضيتنا التي نصت على (الطاقة الحجاجية وتقنياتها البلا غية في سورة القلم) تجري مع العصر الحديث وتواكب تحولاته المعرفية، على نحو يجعل من الحجاج ظاهرة العصر، بما لها وما عليها من أدبيات الحوار مع الآخر، لبناء قواعد راسخة من التخاطب، الذي يتوخى الإقناع بالعقل والمنطق، وطرح الأدلة والبراهين الحجاجية، المحققة للانسجام والتوازن، والتسامح، وخلق الثقة الحسنة في الخطاب الإعلامي، والسياسي والثقافي، والأخلاقي، وغيرها من قنوات الاتصال المعرفي التي تنبذ العنف والتطرف والإرهاب. تلك هي قاعدة الشريعة، وميثاق الخُلُق العظيم، الذي عظمت به رسالة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– واستقام لأجله الجدل الفعَّال، قال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" سورة النحل، الآية (١٢٥). وبرزت مظاهره في خطاب العقيدة والوعظ والفضيلة والصراط المستقيم.

وبسط المفاهيم على هذا المنوال يحيلنا إلى تجاذبات المصطلح لدى المناهج المختلفة، القديمة والحديثة، فالأوائل من فلاسفة اليونان مثل سقراط وأفلاطون والسفسطائيين شاع لديهم الحجاج الجدلي، وقام على ثوابت واضحة ومبادئ خالصة في رسم حدود الجدل والمناظرات وهي: وجود المدعي، والمدعى عليه، والدعوى، والدليل بصوره المختلفة: (البينة، الشاهد، البرهان، الوثيقة، الحجة.) [١٤]. أما أرسطو فقد انفتح في خطابه الحجاجي على ثلاثة مسارات في تمثيل الحجاج، فانتهى في مقارباته إلى

المصطلحات الآتية: الإيتوسEthos(الفضائل الأخلاقية)، وترتبط بشخصية المتكلم / المرسل وأخلاقياته، والباتوس Pathos ويتعلق بـــ(الانفعـــالات والأهواء الشخصية)، وهي المنوطـــة بـــالجمهور، واللوغـــوس Logos، المنوطة بمادة الحجاج وموضوع تمثيله في الخطاب، و وهذه الثيمات الثلاث هي التي تجعل البلاغة أكثر فاعلية فـــي المجتمـــع. وأداة ناجعـــة لتحقيـــق وظيفتي التأثير والإقناع.(١٥)

وفي العصر الحديث استطاع رجل القانون الشيكي شـــاييم بيرلمـــان Chaim Perelman واللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا Lucie Olbrechts-Tyteca، في كتابهما (الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة) عام ١٩٥٨م بلورة الأفكار السابقة واستيعاب آراء أرسطو وفهمها برؤيـــة جديدة؛ تعلي من شأن الإقناع والتأثير، وتمدنا بآليات مخبرية لها فاعليتهـــا في الاستكشاف، فبسطا آفاق البحث في بلاغة الحجاج، وانتهى المؤلفان إلى نظرية البلاغة الجديدة، التي فتحـــت مجالًـــا واســـعًا لمقاربـــة الخطابـــات والنصوص طبقًا لمواضعات منهجية، تقوم على ثنائيـــة: القصـــد والمقـــام. وتوسعت دائرة النظر نحو الخطابات ذات الطبيعة الحجاجيـــة، كالخطابـــات الدينية، والقضائية والسياسية، والفلســـفية، ومـــا لـــه تعلـــق مخصـــوص بالمناظرات، والنقائض وغيرها، بناءً على تصـــور تفـــاعلي بـــين الـــذات المتكلمة والمخاطبين"(١٦). والمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض وبلاغة الصور الفنيـــة والمحســـنات البديعيـــة فـــي ســـياق اختصاصها بالمتعة والجمالية في التعبير، وتتفق معها فيما يحفـــز الخطـــاب الإقناعي، ويبث مداده التأثيري نحو المتلقي. ويمكن اعتبارها بلاغة أرسطية جديدة، بوصفها قوى إنتاجية للمعرفة الحجاجية بالقضايا الإنسانية المختلفة.

وخلاصة هذه الأفكار أن نظرية البلاغة الجديدة تتأسس "على قراءة النصوص قراءةً بلاغية على أساس الحوار، لا على أساس الظن والتخمين والوهم"(١٧) وتقوم على المبادئ الآتية:

أولًا: أن موضوع نظرية الحجاج لدى بيرلمان وتتيكا هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من طروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(١٨)

ثانيًا: أن "الجمهور في تصور بيرلمان وتتيكا مكوِّن أساس من مكونات المعادلة الحجاجية"(١٩)؛ لأن "الحجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة. والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالته."(٢٠)

ثالثًا: أن " نظرية الحجاج بوصفها بلاغة جديدة تغطي الخطاب المستهدف للإقناع، كيفما كان المستمع الذي تتوجه إليه، ومهما كانت المادة المطروحة."(٢١)

رابعًا: تنفتح نظرية البلاغة الجديدة على الواقع؛ فتلجأ إلى التحليل والمقاربة النقدية للخطاب السائد؛"لأن الإنسان لا يفكر أو يتفلسف أو يكتب أدبًا أو غيره بمعزل عن العالم. إنه في تواصل مستمر وفعَّال مع محيطه الخارجي. وما يحتويه من مؤثرات ومحفزات وإكراهات، أو ما يطرحه من أسئلة وإشكالات وافتراضات."(٢٢) ومعنى ذلك أن الحجاج ممارسة صائبة لتصحيح المسار، وتعزيز الرؤى والأفكار العادلة.

٣- مفهوم الشخصية:

تعرف الشخصية في الأدبيات المعرفية طبقًا لاختصاصاتها، وأشكال تموضعها، فهي في السرديات تعد " قضية لسانية، لاوجود لها خارج الكلمات؛ لأنها ليست سوى كائنات من ورق"(٢٣). وعلى الرغم من أن الشخص هو الإنسان الذي يتحرك في الواقع، وله خصائصه وأفعاله ونشاطه الإنساني، في زمان ومكان معلومين، إلا أن ذلك لا يعني انفصاله عن الشخصية السردية، ولا يمكن إنكار العلاقة بينهما، بل إن " رفض وجود أية علاقة بين الشخصية والشخص يصبح أمرًا لا معنى له؛ وذلك أن الشخصيات تمثل الأشخاص فعلًا؛ ولكن ذلك يتم طبقًا لصياغات خاصة بالتخيل."(٢٤). وتكتسب خصوصيتها في السرد بوصفها مرآة باصرة للقيم الإنسانية، ولازمة لاستيعاب أحداث افتراضية لما تتموضع به الذات والآخر في الواقع؛ لذلك تغدو في الخطاب السردي " تمثيلية لحالة، أو وضعية ما"(٢٥) بل إن الشخصية" تمثل مع الحدث عمود الحكاية الفقري. لذلك تدرس في إطار الحكاية."(٢٦). وتأخذ مستويات مختلفة في المقاربات، منها الدور الاجتماعي الثقافي والنفسي، وغير ذلك من الأدوار التي تقتضيها، وتؤدي دورها، لإنجاز وظيفة ما.

وتعرف الشخصية في الدراسات السلوكية والنفسية – بحسب سيمون فالادون بأنها " بنية نشيطة موحدة وكاملة، تحقق وحدة نسبية، وتواصلاً مع الزمن لمجموع الأجهزة التي تأخذ في الاعتبار خصوصيات كل فرد طريقته في الشعور، والتفكير، والفعل، ورد الفعل في المواقف المحسوسة."(٢٧)

إن الشخصية التي تمثلها الفكر النفسي والسلوكي – طبقًا لما تقدم- مبنية على سمات وخصائص اجتماعية ونفسية وسلوكية وثقافية، ومن هذه الخصائص الفاعلية والإيجابية، وهما دالتان على سلامة العقل والقدرة على التنبؤ، واستشراف المستقبل، وامتلاك الثقة الكافية بالنفس، لإحداث تحول في الحياة وفي مقدمتها النشاط الإبداعي، والسعي نحو الارتقاء والطموح المنشود. كل ذلك يعزز الرؤية نحو بناء الشخصية، واستقامتها في المجتمع.

وخلاصة ما تقدم أن الشخصية كما عرفها جوزيف نيتان مركبة من شبكة نشطة من التفاعلات مع العالم، الآنية والمستقبلية، الحقيقية والمحتملة[٢٨]، وخارطتها النشطة في الحياة لها مفاتحها الفاعلة، ومشغلاتها البراغماتية، أهمها: القدرة على التواصل مع الآخرين، والشعور بالهوية، واختصاصها بالكينونة (أنا أكون)[٢٩]، وكذلك التسامي، وهي سمة لها فعلها التجاوزي في صياغة الواقع، والإسهام في تطوره، حتى يصبح المرء شخصية فاعلة في أدوار إيجابية؛ بناء على فرضية إدراكية منطوقها: (أنا موجود؛ لأنني أترك أثرًا.)[٣٠].

أما الشخصية القرآنية فلها مواصفاتها الخاصة، إذ تتسم بالواقعية في كثير من نماذجها، بوصفها منبثقة عن الواقع، لذلك تذكر بأسمائها، أو بصفاتها، أو بأفعالها الجسمية، أو النفسية والعقلية، كما هو حالها في سورة القلم، إذ لم توصف الشخصيات بمسمياتها سواء كان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- أو الحلاف المهين أو أصحاب الجنة أو يونس عليه السلام، واكتفى الخطاب القرآني بذكر صفاتها وطي أسمائها؛ كونها معلومة الوصف لدى المتلقي، ولا يجري عليها التخييل إلا في شخصيات الأمثال بوصفها رمزية بأحكامها، ووظائفها السردية، كقوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ." النحل، ٧٥-٧٦ أو قوله جل شأنه: " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا" الكهف، ٣٢، أو كقوله: " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" يس: ٣٨، وغيرها. والمقصود أن ما تحمله تلك الأمثال من مقاصد قرآنية، أو ما تتبناه من أغراض فكرية في الأحداث والقصص القرآني، وما يسكنها من عظات وعبر يجري على القديم والمعاصر، إذ " تكون عمومية المثل وصلاحيته الشاملة لجميع أفراد الجنس فيما ضرب له، وسيق من أجله"[٣١]. وهي القاعدة الأساس، والمرتكز الجوهري في تمثيل الشخصية القرآنية سواء كانت من الأنبياء أو من الصالحين، أو من الجبهة الأخرى، كالشيطان أو المنافقين والكفار أو من قصص الأولين بأنماطها واتجاهاتها المختلفة.

وأهم ما يسترعي الانتباه في تشكيل الشخصية القرآنية يتركز على بنائها المقاصدي، وسوقها في نماذج إنسانية أو تصويرها بطابع حجاجي إقناعي، يجمع بين الغرض الديني والغرض الفني.

المبحث الأول

متوالية الحجج القرآنية في سورة القلم

اشتملت سورة القلم على متوالية موضوعية من الحجج القرآنية ذات المقاصد السامية؛ تقاربت فيها مصادر الاستدلال الحجاجي، وساقتها الآيات بفاعلية، على النحو الآتي:

١. حجة العناية الإلهية:

تعد حجة (العناية الإلهية) من الحجج العقلية الباهرة، التي اختصها القرآن الكريم بالذكر صراحة أو ضمنًا؛ كونها من السنن التي أودعها الله في الكون، وبث فيها نواميسه الحافظة لتوازن الأشياء وحمايتها من التصدع والانهيار. ومن رحمته أن جرت سنن العناية على المخلوقات كافة، والإنسان محور هذا التقدير، ومركز الإضاءة الشاملة في الحياة؛ ولكنها مع الأنبياء صارت حجة بالغة، ومعجزة خارقة، تقنع بسلامة الفكر، ونجاعة المعتقد، وتثبت صدق النبوة؛ فحمايتهم حماية لشرع الله، ومواثيقه بين العباد، لذلك رافقتهم عنايته، وصارت حجته فيهم. فقد لطف الله بآدم وتاب عليه، ونجا الله عز وجل نوح، وهود وصالح وشعيب ولوط من مكر أقوامهم، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، واختص الله يعقوب بلطفه على فقد ولديه يوسف وبنيامين، ورافقت يوسفَ عنايةُ الله عز وجل، فأكرم مثواه، وأيوب إذ شفاه، ونفس كربه، وأبدله نعمة منه وفضلًا، ويونس خصه الله بعنايته، إذ حفظه في بطن الحوت وأكرمه بإيمان قومه أجمعين، وموسى وهارون إذ "قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى، قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى"طه ٤٥، ٤٦.

وخلوص العناية الإلهية إلى هذا المساق القويم، يجعلها حجة دامغة لحراسة الدعوة، وميثاقًا إلهيًا يحمي نبيه من خصومه، قال تعالى: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ " الحجر: ٩٤، ٩٥. وقال : وليست العناية سوى اللطف، والحفظ والتمكين، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"المائدة: ٦٧. كما أنها ضرب من الاستقرار النفسي الذي يبثه الله في صدر نبيه، ويحقق به الطمأنينة، ويبشره بالمعية الإلهية، قال تعالى: " وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ " الطور، ٤٨.

والمتأمل في سورة القلم يجد هذا البيان الإلهي، وعنايته بنبيه – صلى الله عليه وسلم– فقد جرى عليه من الحجاج للمتلقي ما جرى في الآيات، أو لنقل قد سبقتها السورة باعتبار النزول، إذ قدم الخطاب القرآني صورة كافية للعناية الإلهية؛ فشملت أخلاقه وعقله، ومستواه الذهني وطريقة التفكير، التي تفرد بذكرها، وأقسم على ذلك، وإن الله لم يقسم بمخلوقاته في سورة القلم، وفي غيرها إلا " لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر تعالى النوعين حتى يبقى لهم حجة."(٣٢)

وقد أقسم الله أولًا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء: نفي الجنون عنه وإثبات له كمال العقل، وثبوت الأجر الجزيل على تحمل المشقة، وصبره على مكاره المشركين في الدعوة إلى الله، وكونه على خلق عظيم. وأكده بمؤكدات أقوى من تأكيدات الخصوم وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون(٣٣)

ومن جهة أخرى، فإن ما استقام في هذه السورة من بواعث الاستدلال بحجة العناية الإلهية يسندها على المستوى الحجاجي مقام الخطاب المكي الذي يقتضي مبدأ السلامة العقلية، وتصحيح المسار العقدي، وإحداث التحول الفكري في الجمهور الجديد، إذ العناية الإلهية التي حفظ الله بها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –والأنبياء من قبله ليست إلا صورة من صور الإقناع والتأثير في صدور الناس؛ لأن حفظهم وضرب الأدلة والبراهين والدفاع عنهم باستدلالات منطقية، وشبه منطقية هي في جوهرها براهين قاطعة على وجود الخالق، وعلى كماله وتوحيده.

كل ذلك أسهم – إلى حدٍ كبيرٍ – في تقديم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أكمل عقل وأقوى ذاكرة؛ وأسمى بلاغة، إذ السلامة العقلية وطاقته المعرفية، وفهمه وقدرته على الاستنباط، وبلاغته العالية، كلها تعد من مقومات النبوة، بحجتها المعرفية، وقوتها التوصيلية. كما أن مكارم الأخلاق التي عظمها القرآن، وأكبرها في النبي صلى الله عليه وسلم تعد إحدى الأدلة الحجاجية القاهرة، التي أقنعت المجتمع المكي، وحققت فاعليتها في إسلامهم.

٢. **حجة المعرفة** :

تعد المعرفة إحدى المقاصد القرآنية التي حث عليها القرآن ضمنًا في سورة القلم، وأحد مسالك الهداية والنور، التي يؤسس معرفيًا من خلالها لمجتمع إسلامي؛ لأن القلم هو الأداة المفضلة لتلقي العلوم واكتساب المعارف، إذ بها يُمنح الإنسان القدرة على استلهام حقائق الكون، وفهم شبكة العلاقات الإنسانية والمادية بين الإنسان والطبيعة. كما أن القَسَم بالقلم في هذه السورة، وذكره في مطلعها بقوله:" ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "يتكامل

حجاجيًا والقراءة التي نص عليها الخطاب القرآني في سورة العلق،:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " العلق، ١-٥. إذ القلم أداة الكتابة، والقراءة أداة الفهم، وتقدير الأشياء في ضوء مقاييس القراءة والكتابة بوعي دون جهل، يفرض على المتلقي رهانًا بالغ الأهمية لفهم آياته وتدبرها. وتستمد هذه الحجة فاعليتها وتفردها في السورة من حمولتها الكنائية، وتناولها الباذخ لمفردات العلم، والعلماء بدقة وإيجاز. فقد بنى الخطاب القرآني مقاصده في هذه السورة على أساس توجيه القارئ إلى تلمس طريق العلم والعلماء، وتغليب الحكمة والمعرفة في الرأي على الهوى والشهوات. ومعنى ذلك أن الابتداء بالقسم بحرف النون، وذكر القلم يفتح بابًا من التصور الحجاجي وتدفق الدلالات الإعجازية التي تحمل في العمق أبعادًا استدلالية لإنجاز الوظيفة المعرفية؛ فاكتسبت السورة طاقتها الإقناعية من قوة الحرف، وثراء الآية، باعتبار أن اختيار هذا الحرف محمَّل بدلالة القدرة، والتمكن، وبين الكاف والنون، تقدر به الآجال، وتقضى الأمور، وتتحدد بمقتضاه المبادئ، قال تعالى: "يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" آل عمران: ٤٧، وقوله جل شأنه: " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " النحل: ٤٠، كما أن حجاجية المعرفة مبنية على خاصيات النظر والمقاربة في سياق البناء العقلي، وتحقيق الكفاءة الذاتية في قراءة الكون، وتدبره، لا هدم العقل، وتقويض فاعليته بالشبهات والشهوات. تلك هي معالم التنوير الحجاجي التي يثيرها الخطاب القرآني في مطلع السورة، على هيئة أسئلة ضمنية، لمعالجة ما يسوقه بعدها من قضايا وأفكار متفردة، تستمد خاصياتها التأثيرية من تفرد الخطاب وإحكامه،

إذ " القرآن بناء محكم واحد، ونَظْمٌ متفرد واحد، تسري فيه كله روح واحدة تحوله إلى كائن حي يخاطبك كفاحًا ويشتبك معك في جدل شامل يجيب به عن أسئلتك."(٣٤).

وهذا الاشتباك والبيان الذي لحظناه يحمل إشارة جلية إلى سر الحرف وجمالية الألفاظ، بمعانيها، وسياقاتها التي تسهم في تبصر الاشياء، وكأن اللفظة الواحدة " خلقت لذلك المعنى خلقًا، وأفرِغت عليه إفراغًا، حتى لا يناسبه غيرها فيما يلتئم على لسان المتكلم، ولا يكون في موضعها أليق منها في مذهبه ولحن قومه وطريقة لغته."(٣٥) ومما يتمم هذه البعد أن بلاغة الحجاج في القرآن هي ثمرة هذا النظم، وسمته المتفردة، وقد حاجج الخصوم " ورد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته – ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود؛ حتى أحسُّوا بضعف الفطرة القوية، وتخلف الملكة المستحكمة؛ ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه."(٣٦)

وعلى هذا النحو جرت سنن التوعية بالقراءة والكتابة في السورتين: العلق والقلم؛ تمهيدًا لبناء المجتمع الإسلامي الذي يعتز بدينه وتراثه الفكري، ويحقق أمانيه في اكتساب المعارف، واكتشاف أسرار الكون وعلاماته الفارقة.

٣. **حجة الجزاء الإلهي**:

الجزاء من السنن الإلهية التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، وبها يتحقق عدل الله عز وجل بين العباد، إذ يعد نظامًا لحفظ التوازن بين الناس، واستراتيجية حجاجية لتقويم أعمالهم، وأفعالهم على قاعدة عادلة، ومبدأ قويم؛ استحقاقًا على ما صنع الإنسان في حياته، وجزاءً على ما كسبت يداه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" الزلزلة ٨-٩ وينتفي الظلم من هذا التقدير مطلقًا، إذ العدل والجزاء لا يستقيمان إلا ضمن رؤية قرآنية، يتحقق بها رصد الأعمال، وتقويم الأفعال، وإقامة الحجة على صاحبها؛ فتستحيل في وعي المتلقي حجة عقلية، تؤسس في الواقع لحجة مركبة تقوم على الجزاء والعدل، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء ٤٠. ذلك لأن التوجيه القرآني فيما يتعلق بالجزاء غايته إحداث الهزة النفسية في نفس المتلقي، وتحريك خواطره بناءً على ما استقر بين العباد،"بعقوبة رهيبة أو بجزاء حسن في حياة خالدة."[٣٧]

وفي هذا السياق يقدم القرآن الكريم متوالية الجزاء الإلهي التي تعنينا في سورة القلم والوعد الذي اشتملت عليه الآيات؛ إذ يكتسب طابعه الحجاجي في الدنيا وفي الآخرة، ويجري عليه استحقاق الإنسان من الأجر؛ طبقًا للمآلات، وربما" خلط القرشي بين الدنيا والآخرة. الدنيا لها قوانينها في البيع والشراء. والآخرة لها قوانينها في تحقيق العدل الذي لم يتحقق في الدنيا. الدنيا دار حقوق وواجبات. والآخرة در تعويض وجزاء."[٣٨] ولذلك كان البيان القرآني في أسمى معانيه لكشف الحقيقة المنسية في أذهان

المشركين، ووضعهم أمام الأمر الإلهي تحقيقًا لهذا الوعد المبين، على النحو الآتي:

- " وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ " الآية (٣)
- سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ الآية (١٦)
- فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ " الآيتان: ١٩، ٢٠
- " كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " الآية (٣٣)
- " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ " الآية (٣٤)

هذه حقيقة الظاهرة الحجاجية، التي أخذت مواقعها في سورة القلم نحو هذا الفضاء الذي توفره اللغة بأنظمتها المتشابكة، وغدت بها دالة إعجازية، باعتبار أن كل لفظ يحمل دلالة في سياقه الخاص، وتضافره مع الجمل يؤسس لهذا البعد الحجاجي؛ إذ لا ينشأ التعبير إلا في مساق حجة معينة، تشير إلى مجهول، أو تقوض حجة معلومة يمارسها الخصم، أو تبدّل القناعات تجاه أفكار ضالة، أو تحفز قيمة أخلاقية معينة تخدم صاحبها والمجتمع، وتلك هي حجج القرآن تجري على هذا النسق، وتكتسب طابعها الحجاجي على هذا المنوال. وحجاجية الجزاء كغيرها من الحجج القرآنية تكمن في الطاقة التأثيرية التي يحملها الخطاب القرآني، لإقناع المتلقي بأن " هناك قوةً ترعى هذا الوجود، وتدبر نواميسه وفق قانون الثواب والعقاب، وأن جنود الله غير متناهية؛ لأن قدرته غير متناهية، فالكون كله بإنسه وجنه، وأرضه وسمائه، وبره وبحره، وكل مخلوقاته مسخرة بأمره، وأن سعادة الإنسان في الإذعان لمدبر هذا الكون والمتصرف في جميع شؤونه، وأن شقاءه يكون في الانحراف عن منهجه وهديه." (٣٩)

على هذا النسق انتظمت المفردات بسياقاتها في الخطاب القرآني ودنت لها أسباب التفوق، من حيث دقة التعبير، وروعة النظم؛ فقوله تعالى: " وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ " الآية (٣).يندرج ضمن أسباب القوة والروعة بالمؤكدات المخصوصة (إنَّ)، واللام في(أجرًا)، واجتماع التوكيد مع تقديم شبه الجملة (لك) يدعم الحجة ويقويها في الاختصاص والملكية؛ رحمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم- وجزاءً له، وفضلًا على "ما تحمل من أثقال النبوة وعلى صبره عليهم بما يرمونه به غير ممنون، أي غير مقطوع، ولا منقوص في دنياك، ولا في آخرتك ولا لأحد." (٤٠).

وبناءً على هذا المعطى؛ اكتملت له البشرى بالجزاء على الأجر العظيم والأخلاق العظيمة وكمال العقل وتمام الشر والنبل تصريحًا وتلويحًا. وهذا الجزاء هو جزاء الفضل من الله لنبيه، وهناك جزاء العدل لكل من اقترف إثمًا، أو اجترح ظلمًا في حق الناس، واستقوى عليهم، أو أكل قوتهم، وما يجري مجرى الظلم، وحرمان الفقراء والمساكين من حصتهم المفروضة، كل ذلك يندرج ضمن متوالية الثواب والعقاب التي اعتمدها القرآن الكريم قاعدة شرعية؛ تحقيقًا للعدل وإنجازًا للوعد الإلهي بالجزاء في هذه السورة. ومن ذلك قوله تعالى:

- " إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ "الآيتان:١٥، ١٦.
- فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُون، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ " الآيتان: ١٩، ٢٠
- " كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " الآية (٣٣)

- " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ " الآية (٣٤)

فاستعارة الخرطوم – على سبيل المثال– للأنف الطويل صورة مشفرة للجزاء والعقوبة، يفهمها المتلقي برؤية كنائية، بوصفها كناية عن التهكم والسخرية، "إذ العدول عن الأنف إلى الخرطوم – كما تذهب بنت الشاطئ– " فيه ملحظ التحقير والهبوط بآدمية ذلك المفتون الشرير الجافي اللئيم، إلى دمنية البهائم والدواب." [٤١]، وهي عقوبة آلت إليه؛ لأنه عاش حياته بهذه الأوصاف البائسة، وهذا الشقاء المبين؛ فهو (حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)؛ فكان من الطبيعي أن يصيبه عذاب أليم. وهي حجة تقهر الباطل وحزبه، وتؤسس في المجتمع المسلم للأخلاق الفاضلة. أما هلاك الزرع، والثمر الذي اختصها الخطاب القرآني في السورة بقصة أصحاب الجنة، فإنها صورة من الجزاء الإلهي العادل؛ إذ أهلكها الله بجائحة في الليل؛ جزاءً وفاقًا على ما أضمرت النوايا، واختمرت السيئات في نفوس الإخوة؛ فاستحالت بهذا الميقات حصيدًا كأن لم تغن بالأمس، فبدت كالصريم.

إن التعبير القرآني المصور للحادثة، والوصف الدقيق لأحوال الناس قبل وبعد العقاب، والقدرة البلاغية في اصطفاء المفردات: (غير ممنون، سنسمه على الخرطوم، طاف طائف، كالصريم) أو ما ورد في الآيات اللاحقة كقوله: (لعذاب الآخرة أكبر، للمتقين جنات، يكشف عن ساق، فذرني، سنستدرجهم، أملي لهم، كيدي متين) كلها وسائل فهم وإقناع ذات بعد أخلاقي، إذ الداء والآفات التي ساقت إلى الخطيئة، وسوغت العقوبة هي معنية عند أصحابها بالأخلاق، أو "هو في جانب كبير منه ذو طابع أخلاقي:

عقلي أو روحي."[٤٢] فكان العقاب موافقًا لهذا الفساد الأخلاقي، بهذه الهزيمة النفسية لأصحابها.

أما جمال العبارة وجودة السبك وتماسك النظم القرآني، فهو مقصود كوسيلة فهم وإعجاز، كون "وسائل الفهم والإعجاز في القرآن الكريم لا تنتهي، لأن القرآن كلام الله. والكلام صفة من صفات المتكلم. ولذلك لا يستطيع فهم بشري أن يصل إلى منتهى معاني القرآن الكريم، إنما يتقرب منها؛ لأن كلام الله صفة من صفاته، وصفته فيها كمال بلا نهاية."[٤٣]

كما أن هذه الحجة تأتلف في حجة التقويم والتوجيه، وتأخذ فيها وجهًا ضمنيًا، وقد نادى بها بيرلمان وتتيكاه كموجهٍ للسلوك الإنساني، ومحدد للمسلك الإقناعي، و" تخضع حجة الاتجاه إلى التقييم نفسه؛ فهي تقوم على التحذير من المضي في اتجاه يفضي إلى نتيجة في سلسلة من المراحل السيئة؛ كل مرحلة أسوأ من سابقتها؛ فهذه الحجة تقتضي من جهة وجود سلسلة من المراحل نحو هدف معين يتسم غالبًا بأنه مرعب."[٤٤] وفي سياقها الذي استوقفنا في سورة القلم تتجلى ملامحها بالتعليل، وهي حجة وجيهة لدى المختصين بالحجاج، إذ يبنى الجزاء على حيثيات معللة، كما بدت في الآيات السابقة، ومنها قوله تعالى:

- " فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ" الآيتان: ٨، ٩
- " أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " الآيتان: ٣٥، ٣٦
- " فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ " الآية ٤٤
- " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ " الآية ٤٥

وكما يبدو فإن موجهات المقاربة في الآيات تقتضي التركيز على البعد الحجاجي كمحفز لما ينبغي أن يكون عليه المتلقي عند الجزاء، إذ يضع نفسه حيث يشاء من الفضائل والنأي بالنفس عن موبقات الحياة، ومنها طاعة المكذبين، وموالاة الكفار والمشركين، أو الدخول معهم في نقائض تؤول في أحوالهم إلى السوء. والتحذير من السيئات مقصد قرآني لنيل الجزاء الإلهي العادل، فضلًا عن التزام الفضيلة وفعل الخيرات يثمر في الواقع، ويزيد من حظوظ الإنسان بالعيش الكريم في الدنيا والآخرة، والعكس من ذلك تمامًا، لأن" الخير ينير النفس، ويزكي القلب، ويقوي الإرادة الخيرة، وإن الشر يدنس، ويعمي، ويفسد." [٤٥] ومن ثمَّ فإن الحالة الحجاجية التي ترافق هذا الوعي بالخير والشر يؤسس لقاعدة أخلاقية، في علاقة الإنسان بربه والجزاء الذي يلحق به، وبالناس، بما يصلح الحال والمعاش ويحفظ الحقوق، ويكفل سبل البقاء بشرف وفاعلية.

٤. حجة الصراع:

ينشأ الصراع بين الناس ويحتدم في سياقات خاصة، لها علاقة مباشرة بفكرة البقاء والتميز؛ لذلك لا حياة بلا صراع، ولا واقع بلا إيديولوجيا؛ ولكنها ليست مرآة عاكسة تبرز على صفحتها الواقع الاجتماعي، وما يتفاعل فيه، وإنما "هي عامل محدد، وفعالية نشطة، ومقاومة مستميتة. لها قدرة جبارة على التلوّن والتقنع، وقدرة خارقة على التلوين والتقنع وخلق الأوهام، وهي لا تكفي بتشويه الأفكار وقلب الحقائق، ووظيفتها ليست وظيفة إبستمولوجية مادامت آلية لخلق التطابق وقهر الاختلافات."[٤٦] بهذه الحيثيات ينشأ الصراع كنتيجة حتمية على المعارضة في الرؤى، وعدم التوافق في الأفكار، واختلاف المقاربة في المعتقدات.

تتجلى ملامح الصراع في الخطاب القرآني بين الحق والباطل، والخير والشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يجمع هذه الثنائيات بين الطيبات والخبائث، وما يفرقها ضمن مساق الاختلاف. فالدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعكس هذا الملمح القرآني، وكذلك ما يجذب النفس نحو الخبائث دون الطيبات يجري ضمن مسالك الشهوات والغرائز، ولما جاء الحق في عصر النبوة، تبين وجود الباطل في خبايا المجتمع ومداخل الأنفس الشريرة؛ ولكنه زهق وفريقه، وأصابهم ضلال مبين، وظنوا أنهم على حق؛ استكبارًا في الأرض ومكر السيء، قال تعالى: "ولَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ " الزخرف: ٣٠ وقال جل شأنه:" ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ " سورة محمد: ٣.

تلك ملامح ومؤشرات تتوازى مع الخطاب القرآني في سورة القلم؛ ولكن بصيغ وأساليب أخرى، تتناسب ومقامات السورة ومقاصدها، إذ تطالعنا من بداية السورة حتى نهايتها على النحو الذي يمثل عمدة المقاربة فيها، ومحل الاستكشاف الحجاجي في آياتها الكريمة، إذ تقدم في حيثياتها متوالية معرفية عن هذه الفكرة، وتحمل في مضمونها دلالات عميقة عن الصراع بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وخصومه، وبين المسلمين والمجرمين، بين الهداية والضلال، وبين أصحاب الجنة وأنفسهم، كل ذلك حمل قدرًا مقنعًا من مظاهر الصراع وسماته، على النحو الآتي:

- " فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. " الآيات:٨-١٠.

- " فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ"الآيتان: ٣٠، ٣١.
- " أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " الآيتان: ٣٥، ٣٦.
- " سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ، أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ "الآيتان: ٤٠، ٤١.
- " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ "الآية: ٥١.

والمعجز في التعبير القرآني كما بدت روائعه في النماذج السابقة أنه قدم خارطة ذهنية رمزية للصراع المتصاعد بين الإسلام والكفر، ورسم من خلال اللغة القرآنية مخططًا واقعيًا لطبيعته في العهد النبوي؛ فأحاط نبيه الكريم بقدر كبير من الفهم أمام خطوط الصراع وشبكة الشهوات المعقدة بينه وبين معسكر الشرك في قريش. ومنشأ الصراع هو شعور المشركين بالكبرياء والحنق من نزول الوحي على محمد من بني هاشم، وتجاهل زعمائها، وقد سجله القرآن الكريم بقوله : " قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" الزخرف: ٣١. إذ " استعجبت قريش كيف ينزل القرآن على محمد وليس على سيدين فيهما، وكأن المهم هو الرسول وليس الرسالة، الواسطة وليس القضية. فالشرف للأشخاص طبقًا لعادات العرب وشرف الشخص يحتم عليه النظر في القضية، وموقفه منها بناء على درجة شرفه ومكانته بين أسياد العرب."[٤٧] وعلى الرغم من فقر محمد الإنسان، وتواضعه إلا أن ذلك لا يمنع من الترقي في منازل العظماء، وأن يحظى بالاختيار الإلهي؛ فعسى أن تكون "عظمة الإنسان في بؤسه، وكماله في نقصه، وخلوده في فنائه، ووجوده في عدمه"[٤٨]. تلك هي صورة العلاقة الجديدة التي تشكلت بين

محمد النبي وقريش واشتد أوارها بالصراع، وكأنهم لم يعرفوا تاريخه، بل لم يشفع له عندهم رصيده الأخلاقي بوصفه محمد الإنسان، أو محمد الصادق الأمين، قبل محمد النبي .فتأزمت أنفسهم، وزادت حقدًا،" وربما هي حالة نفسية للمعتدي الذي يشعر بأنه على غير حق. فينقصه الدافع. ويأتي بفعل وهو غير مقتنع به. فيتردد أو يتوقف."(٤٩)

لقد حملت سورة القلم طاقة حجاجية عالية، ويمثل الصراع مفتاحًا لمغاليق كثيرة في حيثياتها بين الحق والباطل والخير والشر؛ "بحثًا عن طمأنينة، وتكريسًا لسكينة، وضبطًا لأهواء، ونشدانًا لقناعة."(٥٠) كما اعتمدت آلية الاستدلال بالقياس والتمثيل في نقل التجربة المحمدية مع الخصوم، وحظيت بقدرٍ لا بأس به من هذه المقاربة، شأنها شأن كثير من الاستدلالات الحجاجية في البلاغة الجديدة، والمقصود أن الصراع يقاس بالأفعال والأقوال، والردود بين الفريقين المتخاصمين، بما يؤكد أن الحجاج قائم على الاستدلال، وأن بلاغته تستمد نجاعتها من الأدلة والبراهين، وليست بلاغة شكل، وجماليات بل علامات منتقاة تنفتح وتنغلق، وتضيق، وتتسع تبعًا لسياقاتها. ومن ثمَّ فإن الحجاج ليس شكلًا مسبقًا وإنما هو أقوال يستند إليها في سياقات تخاطبية أساسها الحوار والتفاعل، لإثبات قضية أو تأكيد قول، أو تعزيز رأي، أو نفي ذلك بالدليل والحجة البلاغية. (٥١) هذه صورة واضحة للصراع، فالسخرية والتهكم ضمنًا من هؤلاء الخصوم، وكشف ادعاءاتهم وبيان مآربهم يجعل المتلقي أمام نسخة قميئة من الناس، وصورة مشوهة للقيم الإنسانية التي يمارسها هؤلاء الأعداء، والأهم من وراء هذا وذاك هو رمزية الشخصيات التي يمكن أن تتكرر منها نسخ على مر العصور، لذلك يقدم الخطاب القرآني صورة مجملة لهذه العلامات من البشر، وأثرها في هدم الأخلاق وتدمير الاقتصاد وتقويض البناء الاجتماعي في المجتمع المسلم.

المبحث الثاني

بلاغة الصورة الحجاجية وأثرها الإقناعي في سورة القلم

تعد الصورة من أهم الأدوات التعبيرية التي تنتظم في الخطاب لإثراء الحياة الإنسانية وإجلاء المقاصد؛ فتتآلف في الكلمات بمنطق الإقناع والتأثير، ولا تزال كذلك حتى تكتسب طريقتها الإبداعية الفائقة. وإن الصورة بأشكالها المختلفة في أجود تعريفاتها في المعاجم الاصطلاحية هي الملكة الذهنية القادرة على تصور الأشياء، مع غيابها عن متناول الحس وذلك بإعادة تشكيلها في كيان جديد متميز منسجم، يجمع المتنافر والمتباعد ويذيب الحواجز العرقية(٥٢). ومعنى ذلك أن الصورة تغدو ضربًا من الدهشة والسحر البياني، والسر يكمن في "قدرتها على إبداع معانٍ جديدة، تُلتمس فيها حضور الموجودات والأشياء."(٥٣)

إن الصورة بهذا المستند المعرفي تحمل دورًا وظيفيًا في سورة القلم، وفي غيرها من السور القرآنية، إذ تقوم على حالة من التشبع، والتكثيف البليغ، والتركيب المترابط، على النحو الذي يتجاوز فنون البيان، وفنية الرسم بالكلمات، ومعنى ذلك نجد أنفسنا معنيين بهذا التمثل الإبداعي للصورة القرآنية طبقًا لمواصفات السياق والحجاج، ودلالات المقاصد على مستوى البنى الفكرية، والنفسية، والأخلاقية وغيرها من مقامات الخطاب القرآني، ومساراته الموضوعية.

كما أن "للقرآن خصائصه الأسلوبية على صعيد الصورة ففيه صور فنية تتكرر هي نفسها أو قريبًا منها؛ ولكنها حتى وإن اختلفت موادها وطرائق بنائها فإنها تُردُّ إلى وظيفة واحدة هي الوظيفة الحجاجية."(٥٤)

وبالنظر في سورة القلم- وهي عمدة المقاربة في هذا البحث- نجد التصوير فيها قد تجاوز التمثيل الحسي وعقد المقارنة أو التشابه الحسي بين الأشياء إلى مستوى أكثر ارتباطًا بالوعي الإنساني، وأجلى فهمًا لعلاقة الأشياء بالإنسان في الكون، لذلك فإن الصورة المحملة بالحجاج، ذات الأبعاد الإقناعية هي التي تتوخى الأبعاد الحسية، والذهنية، وتقريب النماذج الإنسانية بأسباب الحياة، ومتغيراتها، والارتقاء بالقيم الإنسانية في تحولاتها بين الفضيلة والرذيلة، بين النفوس وشهواتها، ثم تُمنحُ العطاء الأوفى من التعبير القرآني بحيث تتجدد في عصر، وتنمو مع الإنسان في كل زمن.

وفي القرآن أيضًا تتسامى الصورة بتعبيرها المعجز وقدرتها الباهرة على البيان والإقناع حتى لا يجد القارئ مسوغًا للتعليل، ولا تعوزه الحاجة للتأويل، بل " وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب؛ ويتخيّل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو؛ وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث؛ وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة."[٥٥] على أن "التصوير ليس محاكاة للواقع، بل هو نتاج رؤيا وتفاعل الذات مع الواقع لإنتاج واقع متعالٍ، أو نموذجٍ مثالي لواقع آخر مستشرف." [٥٦]

تلك هي قناعتنا ووسيلتنا لاستكشاف ملامح الصورة الحجاجية في ثلاثة نماذج من سورة القلم، مسنودين بما تقدم من المعطيات المعرفية التي أخذت في تصوير الشخصية الإنسانية أشكالًا متنوعة، فرضها السياق، واقتضتها الشاشة البلاغية للمعتقدات والأفكار التي اختزنتها وفق نسقية متوازية، تتجاوز مدار التصوير البلاغي المألوف، وحملت فيها الرؤية من

الشكل والإمتاع إلى الاستدلال والإقناع. وقد استقامت – في تصورنا– تبعًا لمضامينها الفكرية والإنسانية، وتناغمها مع الأنساق التفاعلية وعلاقاتها الجامعة بين الأشياء والعناصر الحسية والذهنية وما يلحقها من آليات الحجاج، والأساليب البلاغية المؤثرة. كما انتظمت بنياتها في مدارات ثلاثة– طبقاً لمبدأ (القيمة) – وتوزعت الصورة في أرجائها على أساس التمثيل الذهني للأوصاف والسمات الشخصية. وهي خصائص وعلاقات ترابطت بين الأشياء؛ فأفضت أو استحالت صورًا أو نماذج إنسانية متعددة الأوصاف، متباينة الأهداف، تجاذبتها أفعالها ومبادئها، على النحو الآتي: صورة الشخصية المثال، صورة الشخصية المخاتلة، صورة الشخصية المتحولة.

أولًا: صورة الشخصية المثال:

لهذا الأنموذج من التصوير منطق حجاجي يوحد بين عناصره في سورة القلم، ويعكس خاصيات الفعل الإنساني المؤثر بفعل شبكة العلاقات الاجتماعية والأخلاقية، التي تتجاوب أصداؤها منذ مطلع السورة، حول ثنائية (العقل والأخلاق)؛ فهي ثنائية متلازمة، يحيل بعضها إلى بعض بمنطق ثابت، وحجة بالغة؛ تحمل السامع على الاقتناع، والإقناع بمضامين القَسَم والنفي، فهما من أهم السلالم الحجاجية التي عظم بهما خُلُق النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وتقويض دعوى المشركين حول سلامة عقله، وبلاغته، وصدق ما جاء به، وهو مدار التصوير. واجتماعهما في هذا المقام يلقي بظلاله على قوله تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ." سورة القلم، ١–٧

إن هذا الأنموذج التصويري الذي ارتبط بفكرة المثال لا بفكرة التشابه والتماثل يستمد حجاجيته من الحقائق الجوهرية في الواقع العربي والبيئة القرشية في مكة المكرمة، إذ سجل جانبًا من الطبائع الإنسانية التي اشتملت عليها الآيات، ومنها طبائع النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وأخلاقه التي فرضت في مقام الصورة وضعًا خاصًا من المثالية الجليلة، وكان من ثمرة هذه الطبائع المصورة استحقاق الوصف بالخلق العظيم، ورجاحة العقل، وسلامة الذاكرة المحمدية، وهي العناصر الواقعية، التي ساقها الخطاب القرآني، وتواضعت عليها قناعة الناس في المجتمع المكي، إذ لم يتوقف الأمر على فكرة التشابه، أو التماثل أو الشكل الذي يجمع بين روابط معينة كما هو الحال في الصور البيانية؛ لأن التماثل أو"التشابه لا يمكن أن يكون أساسًا لكل أنواع الصور، فإذا صلح أن يكون أساسًا أو قاعدة مشتركة لأطراف الصور التشبيهية والاستعارية؛ فإن العلاقة بين أبعاد الرمز تحددها الإشارة. كما يُبْنى التعبير الكنائي على التلاصق أو الاستدعاء. أما المجاز المرسل فإن فكرة العلاقات تتحكم في تحديد نوع الصلة بين أبعاده."(٥٧) ذلك لأن " الحجاج بواسطة الصورة في القرآن مداره على مادة هذه الصورة من ناحية، وعلى شكل الصورة من ناحية أخرى. ونعني بمادة الصورة في القرآن مضمونها الذي يعتمد فيه لغاية الإقناع، عالم خطاب متلقيه الأول. والمقصود بعالم الخطاب هنا مجمل كفاءات المتلقين المعرفية والنفسية والثقافية والعقدية التي يأتي مضمون الصورة هذا غير غريب عنهم فهو معلوم لديهم."(٥٨)

وعلى هذا الأساس؛ ارتسمت صورة الشخصية المثال بما هي عليه من خصال النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وشمائله، على سبيل التصوير الحجاجي؛ إيمانًا منا – بحسب الإمام عبد القاهر الجرجاني – بأن "سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار."(٥٩) والأمر في هذه الصورة ينغلق وينفتح على الكفايات اللازمة للشخصية النبوية، ويتفاعل ويتجدد مع خصاله التي اقتدى بها الأولون من صحابته، وما زالت علامات فارقة في القدوة الحسنة إلى يوم الناس؛ فيضع المتلقي على العوالم الممكنة في هذه الشخصية المثالية، وأسهمت في نقلها، أو تمثيلها قوى خفية وظاهرة من دلالات القسم والتوكيد، الذي يحمي الذات المحمدية من سهام المشركين، ويحصن أخلاقه وعقله من الجنون. كل ذلك يجري بمقتضى الاستدلال الحجاجي لما كانت عليه الشخصية من مقومات المصداقية، والأمانة والقيادة والأسوة الحسنة، فهو يقسم و يؤكد بقوله عز و جل:

" ن والقلم وما يسطرون، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. "

فهذه متوالية الكفاءة الإنسانية، التي حملت في منطوقها ومضمونها أبعادًا عميقة، ممّا اكتسبه النبي محمد –صلى الله عليه و سلم– من أخلاق بيئته العربية، ومما أكرمه الله عز وجل من الخلق العظيم والسلامة العقلية المتجددة، إذ يسلمنا الخطاب القرآني في السورة إلى صورة مركبة، شطرها الأول يفتح الصورة على سلامة عقله، وطرفها الآخر يختص سلوكه بالخلق العظيم. فقد نصت الآيات على تنزيه النبي من هذه الآفة الذهنية، بوصفها

حالة غياب، يستحيل صاحبها مجنونًا؛ فيغيب وعيه، ويسكن في منطقة رمادية من العالم، لا يفقه من أمره شيئًا، وكل ذلك مناقض بالحجة لشبهاتهم، ومفارق لافترائهم.

بهذا المستند؛ فإن " متصور العقل في ذهنية العربي يكاد ينحصر في : قدرته وأثره ، و مدى موافقتهللعرف الأخلاقي والاجتماعي . فالوعي الخُلقي و القيمي يدخل بشكل أولي في جميع الأنشطة المعرفية الإسلامية "[٦٠] . ومتصور العقل النبوي ونشاطه الذهني يعكس خاصيات نادرة في القدرة على الانضباط، والمسؤولية، والتأمل والاستنباط، إذ كانت حياته علامة جديرة بالتقدير لاكتشاف ما وراء الكون، بحثًا عن الحلقة المفقودة في الآفاق، متأملًا، باحثًا عن أسرار الكون، وكان نشاطه بين قومه مبرأً من كل عيب، عافاه الله من كل خطل؛ ولكنه الحقد على الأنبياء واحتقار أفعالهم، ومَثَلُهُ كمثل أنبياء الله ورسله الذين أصابهم من أقوامهم ما أصابه؛ فليس ذلك بدعًا عليه، قال تعالى: " كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ، وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ."سورة الذاريات ، الآيات (٥٢-٥٥).لذلك توعدهم بقوله: " فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ "سورة الذاريات ، الآيات (٥٩، ٦٠).

ورصدت الآيات هذه الخصومة وبدت مظاهرها بأقوالهم المتكررة، إذ وصف بالجنون أكثر من ثماني مرات، في قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ "الصافات، ٣٦ وقوله: "ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ " الدخان، ١٤ "فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" الذاريات،

٣٩ " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ " القمر، ٩ " ويَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ "القلم، ٥١.

لقد سجل التاريخ من الروايات والأخبار ما يدعم سلامة الذاكرة المحمدية ورجاحة عقله، " فعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: يا معشر إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضا، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم؛ قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بِخَنْقِهِ، وَلَا تَخَالُجِهِ، وَلَا وَسْوَسَتِهِ،..."[٦١] . لذلك يقول الرازي: " الأخلاق الحميدة و الأفعال المرضية كانت ظاهرة منه، ومن كان موصوفًا بتلك الأخلاق والأفعال لم يجز إضافة الجنون إليه "[٦٢] يقول الشيخ الشعراوي: فهل يكون المجنون على خلق عظيم؟ إذن فأسباب الريب كلها أو الأسباب التي تثير الشك غير موجودة. وغير متوافرة. إن الخُلق العظيم يتنافى مع الجنون.[٦٣] وعلى هذا النحو فإن من لوازم الخطاب النبوي: " وفور العقل وصحة الفهم، وكثرة العلم.."[٦٤] لذلك أخذت المسألة عناية الخطاب القرآني، ومضى في دحض هذه الشبهة بالحجة، والتدعيم النفسي لنبيه، بما يساعده على تجاوز التهمة، والانعتاق من عقدة قريش ومؤامراتهم، والتفرغ للدعوة بفاعلية، يقول جل شأنه:

- "فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ " الطور، ٢٩.
- "ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ " القلم، ٢.

- "ويَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ " القلم، ٥١.

كما أن الغاية العظمي و العروة الوثقى والمقاصد السامية من وراء هذا القسم والتوكيد في سياق تنزيه النبي صلى الله عليه و سلم من الجنون يمثل حماية للأمة المحمدية من الخطل و يحفظ لها مكانتها من الشكوك التي تنال من الذين في قلوبهم مرض والمرجفين في كل مدينة وفي كل عصر.

ومما يتمم البعد الحجاجي في صورة الشخصية المثال استحقاقه الأجر العظيم، فقد استحق أجرًا غير ممنون؛ استكمالاً لما ينبغي أن يكون عليه النبي محمد – صلى الله عليه و سلم– حتى لا تذهب خصاله، ولا تفنى بعده؛ فتكتمل شخصية النبي في أكمل صوره وأقدسها.

ثانياً : صورة الشخصية المخاتلة:

اكتسبت المخاتلة في لغة العرب دلالات سالبة بين المتخاطبين، إذ تنصرف معانيها في المعاجم إلى: المراوغة، والخداع، والهروب والتخفي، والمغالطة، وانحراف المقاصد الإنسانية[٦٥]، وتندرج في الكلام ضمن سياقات حجاجية معوجة؛ " فهي في العادة تحمل في أحشائها جحافل من الحجج العرجاء التي لا وزن لها في عرف من فَقِهَ منطق الحجة وأحاط بضوابطها."[٦٦] واعوجاجها ينتظمه هاجس مذموم، وسوء قصد؛ لأنها تجري بالخداع، والتضليل، والتزوير والبهتان، والمكر السيء الذي لا يحيق إلا بأهله؛ فتتنفس من رئة فاسدة، وتظهر في شعب متفرقة، لا تجد فيها مساحة مستوية من المقاربة والنظر المعرفي.

قال تعالى: " لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . "آل عمران: ١٨١

وقوله عز وجل: " قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ " الأعراف، ١٢، ١٣

وقال جل شأنه: " ..إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا، وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. " الإسراء: ٤٧-٤٩

هذه الفكرة تسلمنا إلى مقام الخطاب القرآني في سورة القلم، بوصفها مدونة البحث، وآصرة الاشتغال المعجز؛ إذ قدم لنا في آياتها صورة باذخة الدلالة لأنموذج الشخصية المخاتلة، وهي صورة المشرك الكافر، شخصية الخصم والعدو؛ فارتسمت صورتها في عرض موجز، بكل صفاتها التي شوهت تقاليد الإنسانية، وميثاقها الأخلاقي، قال تعالى: " فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ." سورة القلم، ٨-١٦

على أن هذا الخطاب الواصف للشخصية المخاتلة قد زادته الكلمة القرآنية فاعليةً، إذ كل كلمة في سياقها مبنية على مرجعية تاريخية، تكتسب فاعليتها الدلالية من المردود القولي، الذي يتخاطب به الناس، ويتعارفون

عليه فيما بينهم، ومن خلال هذه الأوصاف والكلمات تتجلى ملامح هذه الشخصية في متوالية النفس الخبيثة، والطبع الخسيس، التي تتكامل صورتها في إحالات واضحة إلى شخصية مضمرة الاسم، مطوية الذكر، وهو تحقير يعكس خصوصية الحدث، وموقع الشخصية الكافرة في الوعي الإسلامي، وعلى هذا النحو أخذت الأوصاف مواقعها في الآيات بتراتبية مقصودة؛ كل لفظ له هوية خاصة: (حلاف مهين، همّاز، مشاء بنميم، مناع للخير، معتدٍ أثيم، عتل، زنيم). وهي مفردات طوت بأوصافها اسم الشخصية في مساق التمثيل الحجاجي للصورة الذميمة بين الناس، حتى غدا في ميزان الأخلاق العربية السيئة وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف رجلاً مهينًا ، زنيمًا، يستحق الجزاء والعقوبة، قال تعالى:" فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ،وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ" سورة القلم ، الآيات (٤٤، ٤٥) . وفي سورة المدثر حكى بعضًا من هذه الأوصاف، وانتهى الخطاب إلى تحديد العقوبة بقوله: " ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا، سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" سورة المدثر ، الآيات (١١-٢٠) .

وبالنظر في دلالة الأوصاف، وخصوصية التعبير القرآني بهذه الكلمات نجدها "أوغل في الحجاج، وأذهب في الإقناع."[٦٧] وبيان ذلك أو حاصلها في البيان القرآني قد تمّ على هذا المنوال بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه؛ فكونه كثير الحلف يعني أنه (مهين)، وخسيس النفس، و(عُتُلٍّ) أي: غليظ الطبع، و(زنيم) أي أنه دعي، ليس له أصل؛ فأخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يعرف بها.

وسواء نزلت في الوليد بن المغيرة، أو في غيره فهي صالحة لوصف النماذج الإنسانية السيئة. (٦٨) وذكر منطوقها – كما تقدم في التفاسير– يكسبها خصوصية" الحجة التي تمكن من تقويم عمل ما أو حدث ما في ضوء ما يترتب عليه من نتائج إيجابية أو سلبية."(٦٩) إذ يؤدي منطوقها إلى مقتضاها، ومقتضاها في منطوقها، وهو تقويم الأفعال السلبية، وتوجيه مسارها المعوج، ونبذ الأخلاق السيئة، التي تفسد حركة المجتمع، وتقوض فضائله.

وفي ذلك يمكن القول: إن البعد الإقناعي أو الأثر الحجاجي في رسم هذه الشخصية يقربنا من كشف صورة الشخصية المخاتلة، واستكشاف منطوقها الضمني كشخصية سيئة، قلقة، طاغية، فاسدة، ماكرة، ذات أفعال منحرفة عن الخط السوي الذي جبلت عليه الطبيعة البشرية. والحجاج منوط بهذه الرؤية، إذ لا شك في أن هذا السلوك السيء و النشاط المتربص بالآخر ينتهك حرمة الفرد، ويهدد أمن المجتمع الإسلامي استقراره. والغاية من وراء ذلك كله يكمن في تصحيح المسار الآدمي في الحياة الدنيا.

ثالثاً : صورة الشخصية المتحولة :

ومما يتمم النظر في أنماط الصورة الحجاجية التي انتظمت في سورة القلم توظيف صورة الشخصية المتحولة، وهي الصورة التي اجتمعت لها في السورة بواعث السرد، وتهيأت لها أسباب البيان المدهش، إذ سجلها الخطاب القرآني بقوله تعالى: " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ

إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ، فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ، وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ، كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ."سورة القلم، ١٧- ٣٣.

ومعقد النظر في هذه (الصورة) يكمن في بعدها الحجاجي، إذ تقدم ملمحًا استراتيجيًا للحجج المؤسسة على بنية الواقع، وكذلك المؤسِّسَة لشخصية افتراضية على مر الزمن، وهي حجج أخلاقية، تنبثق من علاقات الناس فيما بينهم، وتستوي في مرادها على بنية التمثيل السردي، ونقصد بنية التمثيل التي استوحت قصة أصحاب الجنة واستحضار صورة الشخصية القرشية التي تؤذي النبي محمد – صلى الله عليه وسلم- فليس التمثيل بقائم إذن على علاقة تشابه وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة أي أن التشابه فيه علاقتين(٧٠) وهي صورة حجاجية أسهمت في تقريب الفكرة من خلال عالمين مختلفين، ولا يمكن لنجاح الحجاج وتأثيره في المتلقي إذا لم يكن ذلك المتلقي مقتنعًا بأن التقريب بين العالمين ممكن ومعقول. وهي صورة حجاجية لتقريب الفكرة من خلال عالمين مختلفين، ولا يمكن لنجاح الحجاج وتأثيره في المتلقي إذا لم يكن ذلك المتلقي مقتنعًا بأن التقريب بين العالمين ممكن ومعقول. (٧١) و"التشبيه من الوجهة التداولية عمل حجاجي يعقده المتكلم بين عنصرين، يرى أن بينهماعلاقة مشابهة، ويكون العنصر المشبه به مسلمًا به عند السامع أي أن السامع يسلّم بالصفة التي يسندها إليه المتكلم، فالمتكلم يفترض بالاقتضاء أن السامع يقبل إسناد الصفة

للمشبه." [٧٢] و"إن المفهوم الذي نسميه في الدراسة البلاغية مصدر الصورة هو ما يصطلح عليه في الدرس التداولي بالعالم الاعتقادي، وإن وجه الشبه في أي عمل قولي هو المقتضى الذي يرمي المتكلم إلى التشكيل في صحته."[٧٣]

بهذا التصور؛ يمنحنا التأمل في الأنموذج القرآني السابق قدرًا من الفهم، والمقاربة التداولية التي استوفت شروطها الحجاجية في الخطاب القرآني. وأول معاقد النظر في هذا الأنموذج المصور هو مسألة الغواية التي مارسها أصحاب الجنة، والمؤامرة التي دُبِرَتْ منهم بليل على الفقراء والمساكين، "إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون". واختيار الفعل " يتخافتون" دالٌ حجاجي على هذا المستوى من التفكير، قال تعالى: " فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ".

وبناء هذا المستوى من التصوير في سياق مدعَّم بالقسم والتوكيد يعد مؤشرًا قويًا على الطاقة الإقناعية التي يختزنها التعبير القرآني، إذ يكشف خيوط الجريمة قبل وقوعها، ويضع المتلقي حول طبيعة المؤامرة وأطرافها، بل وتحيطه بفساد النوايا وآثارها. كما أنه يؤسس في الواقع لحجة أخلاقية راسخة في علاقات الناس فيما بينهم، تقوم على حلب الخير للآخرين، ولا تمارس عليهم البغي والطغيان، ولا تحرم الضعفاء والمساكين من نصيبهم المقرر لهم سلفًا. فكل ما ذكر من سيئات الشخصية الأمارة بالسوء، وغوايتها هو معالجة رمزية لإصلاح فساد هذه الشخصية، وتهذيبها. كما أن الخطاب يفتح المجال من خلال هذه الصورة للتوبة عن الأفعال الآثمة، وإحداث التحول النوعي في سلوك الشخصية، والعمل بمبدأ

التداول النفعي للأشياء، وغايتها حماية العلاقات الإنسانية الانهيار، لا هدمها، ورفع عمادها لا تقويض بنيانها في المجتمع.

إن الانغماس في الشهوات واتباع الهوى لا يؤذي الشخص، بل يضر بالمصالح المشتركة بين الناس؛ ولكنها في الوقت نفسه حالة طبيعية جبلت عليها النفس البشرية؛ فتنازعتها الأهواء في هذه الصورة، واستبد بها الطمع، ونالها قدر من التوتر والمآل غير المحمود. كما أنها أساليب شيطانية تثير الكراهية، وتجلب الآثام والخطايا، وقيمتها الحجاجية بالغة الأهمية، باعتبار أن ما يتحصل من العقوبة يقنع المتلقي بخطيئتها وخطورتها على المجتمع، ولا سيما في حق الفقراء والمساكين؛ كونها الخطيئة الكبرى التي استحق عليها أصحاب الجنة صرم جنتهم وإحراق ثمراتها؛ لأن الطمع والحيلة يفسدان جمال النفس، ويشوه المبادئ الإنسانية الفاضلة، ثم تحصل العقوبة، وتوجب المآلات غير المحمودة. ومن ثمَّ لم تعد الأهواء بمنأى عن الحجج التي تعمل على امتصاصها، وعلى هذا الأساس أقر النقاد بأن" الأهواء قابلة للحجاج ويمكنها أن تحاجج من لدن المتكلمين الذين يسعون تارة إلى تبريرها، وتارة إلى نزع التبرير عنها.[٧٤]

كما " أن هوى الذات يمكن أن يكون حصيلة فعل، إما فعل الذات نفسها، كما هو الحال في الندم، وإما فعل ذات أخرى يسميه السيكولوجيون الانتقال إلى الفعل: وهكذا، فإن الحماس أو اليأس."[٧٥] وكما أن الطمع أحد مظاهر تشكيل صورة الشخصية المتحولة، فإن الندم والإقرار بالذنب أحد بواعث التسمية؛ لأن الاعتراف بالخطأ والإقرار بالذنب يمثل تحولًا ومفارقة في الطبيعة الإنسانية؛ بوصفه تجاوزًا لظلم النفوس وطغيانها. ويصبح أحد موازين العدل في المجتمع، ومن ثمَّ فإن" الاعتراف يطرح مسألة العدل

الرمزي أو الاعتباري، وهو ما يعني الرغبة في ربط البعد الأخلاقي للإنسان بتجاربه اليومية." (٧٦) كما أن الاعتراف مسلك قويم، يمد المذنب بطاقة نفسية، لتجديد العهد مع الله، وتسوية العلاقة مع خلقه، لتجاوز الذنب والخروج من دائرة العقاب الإلهي، قال تعالى: " فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " المائدة، ٣٩. وقال جل شأنه:"وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" طه، ٨٢ وقال:"فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ" القصص، ٦٧. ومن لم يتب يظل في دائرة الظلم، قال تعالى:" وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" الحجرات، ١١

على هذا النحو يمكن استثمار هذا التحول في الشخصية من الغواية وفساد النية بصرمها مصبحين، إلى الشعور بالذنب، والإقرار بالخطيئة ثم التوبة إلى الله، وتسوية ذلك لاحقًا مع المساكين. تلك هي دائرة المصطلح الذي اعتمدناها لتقريب صورة الشخصية المتحولة بمنطق حجاجي، يتخذ من الاعتراف بالذنب حجة لها فاعليتها في التأثير، ومصدر إقناعه، وتأثيره يساق بمنطق العدل، إذ "ليس الاعتراف في دلالته العامة إلا شكلًا من أشكال العدل."(٧٧) ومن العدل اعتراف المذنب بخطيئته؛ لأنها تحرر صاحبها من موبقات النفس، والجناية الشيطانية التي تخامرها في لحظة زمنية معينة. كما تفاصيل الحدث والمؤامرة على المساكين وحرمانهم من الحصة المقررة لهم من أبيهم تعكس قدرة الأطماع المادية على غزو العقول البشرية، وإفساد الرؤية المثالية للكينونة البشرية في تصور الحياة. ومع ذلك فإن الخطاب عبر هذه الصورة الحجاجية يبوح من وراء اللغة بضرورة المجاوزة، والتحرر من القيود المادية، في إشارة إلى تحرير العقول من رق

المطامع ورق الشهوات على وجه من الترغيب والحث على تحقيق التوازن في الرغبات والاعتدال في المطالب، وإصلاح الخلل في المنظومة الأخلاقية تجاه الآخر/ المسكين، والانفتاح على المحرومين بالمعروف، حتى تتحسن شروط الحياة المثالية، والانسجام مع تكافل المجتمع .

ومن جهة أخرى؛ فإن احتفاء السورة بذكر أخيهم الأوسط في هذا المشهد القصصي، وتوظيف شخصيته المضمرة على هذا النحو من التصوير يعد من أقوى أساليب الحجاج،" قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ" باعتبار ما ينشأ بينهم من حوار، وما ينشأ من ردود أفعال على هذا التفاعل والتحول في السلوك، إذ سيبعث في نفوس السامعين القناعة، واليقين، والإقناع المبين بأن الانحراف سلوك الشياطين، ونشاط السيئين، على نحو يزيد المتلقي جرعة أخلاقية لإيجابية التعامل مع الآخر، وأن مصير المكائد غير الحميدة تبوء بالفشل، وأن الأطماع مصيرها إلى الخسران. وقد استعير الوسط للخصال المحمودة، واستجماع فضائل العقل والتفكير المستنير، لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط، كالجود والإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن. (٧٨) ولاشك في أن هذه الرسائل المهمة التي يبثها الخطاب القرآني في السورة من صميم الحجاج والتداولية، إذ تعمق التواصل والتواصي بالحق، وتحقق الرحمة ويدوم بها المعروف بين الناس، وترسخ الفرار إلى الله. كما أن التعبير بأوسطهم مؤشر على الخير، ودليل على حيوية الأمة، إذ لا تفقد بوصلتها في كل الأحوال، ويظل الحق مؤيدًا بمثل هذه النماذج في أسوأ الظروف؛ مما يدل على أن الأوسط لا يخلو من الأفضلية، ورجاحة العقل، وأقربهم إلى المودة والخير.

الخاتمة والنتائج

في ضوء ما تقدم في المباحث السابقة يمكننا تسجيل النتائج الآتية:

١. اعتمد الخطاب القرآني في سورة القلم مجموعة من الحجج الإقناعية، التي استجمعت القوة التأثيرية والطاقة الإقناعية في المتلقين عمومًا، والخصوم على وجه الخصوص، وخاطب من خلالها جمهورًا كونيًا، بمقتضى الرسالة المحمدية، وهي حجة العناية الإلهية، وحجة الجزاء، وحجة المعرفة، وحجة الصراع.

٢. قدم الخطاب القرآني استراتيجية إقناعية واضحة في السورة، بما يجعل الآخر/ المشرك مقتنعًا، وحال المقرّ بفضائل النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –وصحة نبوته وسلامة عقله من الجنون، وقوة رسالته التي ترسخت في وعيهم قبل النبوة.

٣. رسم القرآن الكريم صورة حجاجية متكاملة في مثلث مترابط عن صورة الشخصية بأنماطها الثلاثة: الشخصية المثال، الشخصية المخاتلة، الشخصية المتحولة، وهي رؤية قرآنية، وطريقة فنية في رسم الشخصيات القصصية بمعطياتها الواقعية، وغلتها الفكرية المحفزة للحجاج، غايتها إقناع المتلقي، والتأسيس لمشروع صالح لكل زمان ومكان.

٤. لقد وجه القرآن الكريم خطابه الحجاجي في سورة القلم نحو وجدان الناس وجمع في مقاصدها بين الغرض الديني والغرض الفني؛ وكان لأسلوبي القسم والتوكيد، وإضمار الشخصيات وعدوله عن ذكر الأسماء والاكتفاء بالأوصاف والصفات الأثر الجلي في الإقناع، وبناء عوالم السورة، وإمكانياتها المقاصدية العالية.

هوامش البحث

(١) Terelman et Tyteca,traite de l'argumentaion,op,p٧٣نقلًا عن: صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٤٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٣.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤م، ١/ ٨١.

(٤) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن (مرجع سابق)، ص٥٨

(٥) السلمي، عبدالرحمن بن رجاء الله، جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، مج ,٦ ع ١٢، ٢٠١٢م، معهد الامام الشاطبي – مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٢١٧-٢٧٦، ص٢١٩.

(٦) ينظر: حمداوي، د.جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م.ص٢٨.

(٧) ينظر : ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م، ٥/ ٣٤٥.

(٨) ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (مرجع سابق)، ٢٩/ ٥٨

(٩) ينظر : الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، ،أسباب نزول القرآن، تحقيق/ كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م، ص٤٦٣.

١٠) عبدالرحمن، د.عائشة، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، (مرجع سابق)، ٣٩/٢.

١١- دراز ، د. محمد عبدالله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ،اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، دار القلم للنشر والتوزيع ، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م. ص ١١٢.

١٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ، تحقيق علي سيري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م. مادة (حَجَّجَ).

١٣) نقلًا عن: علوي، د.حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب، الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م، ج١/ ٢.

(١٤) انظر: حمداوي، د.جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، (مرجع سابق) ص١٧.

(١٥) انظر: المرجع نفسه، ص٢٥.

(١٦) ينظر: حمداوي، د.جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، (مرجع سابق)، ص٢٨.

(١٧) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٩.

١٨) ينظر: صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج، (مرجع سابق)، ص ٢٧.

١٩ ينظر: الحجاج في الخطاب القانوني، عزالدين الناجح، دار بو جميل للطباعة والنشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ص١٧.

٢٠) ينظر: في نظرية الحجاج، د. عبد الله صولة،(مرجع سابق)، ص ١٨.

٢١) الرقبي، د.رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي و آليات واشتغاله،، عالم الفكر، العدد (٢) المجلد (٤٠) اكتوبر- ديسمبر ٢٠١١ م، ص ٦٨.

٢٢) الولي، د.محمد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، عالم الفكر، العدد (٢) المجلد (٤٠) اكتوبر- ديسمبر ٢٠١١ م، ص ٣٤.

(٢٣) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م،، ص٢١٣.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٢١٣.

(٢٥) علوش، د.سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م،ص١٢٦.

(٢٦) القاضي وآخرون، محمد، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م،، ص ٢٧٠.

٢٧) فا لادون ، سيمون كلابيه ، نظريات الشخصية، ترجمة علي المصري ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط ١ ، ١٤١٣ه - ١٩٩٣م، ص ٦.

٢٨) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢١.

٢٩) ينظر: آلن ، بيم ب .آلن ، نظريات الشخصية، ترجمة أ.علاء الدين كفافي، أ.د مايسه أحمد النيال، د . سهير محمد سالم ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمَّان ، ط ٢ ، ١٤٣٤ه - ٢٠١٣م . ص ٣٢٣.

٣٠) المرجع نفسه، ص ٣٢٤

٣١) الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه- ١٩٧٥م، ص١٠٠.

٣٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار المعرفة بيروت، ١٩٥٧م، ٣/ ٤١.

٣٣) حسان، رمضان محمد محمود، البلاغة القرآنية في سورة القلم، (مرجع سابق)، ص٢٠٣٦

٣٤) ينظر: بوردع، عبد الرحمن، التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني، ، بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥م، ص١٠٢.

٣٥) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م، ١٣١.

٣٦) المرجع نفسه، ١٣١.

٣٧) دراز، محمد بن عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م، ص١٤٦.

٣٨) حنفي، د.حسن، علوم السيرة (من الرسول إلى الرسالة)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٢٣٧.

٣٩) السلمي، عبدالرحمن بن رجاء الله، جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، (مرجع سابق)، ص٢٦٠.

٤٠) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٠/ ٢٩٠، ٢٩١.

٤١) عبدالرحمن، د.عائشة، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف القاهرة، ط٧، ٦١/٢.

٤٢) دراز، محمد بن عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م، ص٣٤٥.

٤٣) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١/ ١٠٨.

(٤٤) ينظر: مشبال، د.محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٨ه- ٢٠١٧م، ص١٦٠.

٤٥) دراز، محمد بن عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن(مرجع سابق)، ص٣٥٣.

٤٦) بنعبد العالي، عبد السلام، الفلسفة فنًّا للعيش، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص١١٤.

٤٧) حنفي، د.حسن، علوم السيرة (من الرسول إلى الرسالة)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٢٣٨، ٢٣٩. القريتان: مكة والطائف، والرجل المكي هو الوليد بن المغيرة المخزومي. أو عتبة بن ربيعة. ورجل الطائف هو عروة بن مسعود. أو حبيب بن عبد بن عمير. أو كنانة بن عبد ياليل. ينظر: ابن عطية، تفسير ابن عطية، ٥/ ٥٣.

٤٨) ينظر: حنفي، د.حسن، علوم السيرة (من الرسول إلى الرسالة)، ٢٠١٣، ص٢٦

٤٩) المرجع نفسه، ص٢٣٠.

٥٠) بنعبد العالي، عبد السلام، الفلسفة فنًّا للعيش، (مرجع سابق)، ص١٠.

٥١) المبخوت، د.شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٥٩.

(٥٢) انظر: وهبة، مجدي، مصطلحات الأدب، ص٢٤٠،٢٣٧؛ وانظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – د. جابر عصفور، (مرجع سابق)، ص١٤.

٥٣) إمام، د.غادة، جاستون بلاشلار، جماليات الصورة،(مرجع سابق)، ص٣١٤.

٥٤) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية(مرجع سابق)، ص٤٩

٥٥) المرجع نفسه، ص٣٦.

٥٦) خالفي، حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص١٠٩.

(٥٧) قاسم، د. عدنن حسين، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، ص ١٨١.

٥٨) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، (مرجع سابق)، ص٤٩٦.

(٥٩) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.ص٢٧٥.

(٦٠) ينظر : آل مريع ، أحمد بن علي ، خطاب الجنون (الحضور الفيزيائي و الغياب الثقافي ، الاستبعاد و النفي) ، مكتبة العبيكان للنشر و التوزيع ، ط ١، ١٤٣٥ه – ٢٠١٤م ، ص ٥٩.

٦١) ابن هشام ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق / مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الإحياء العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١ه– ٢٠٠٠م، ٢٨٩/١.

(٦٢) الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد، التفسير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت ، ط ١، ١٤٠١ه– ١٩٨١م ، ١٣/ ٨٠.

٦٣) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ٦/ ٣٥٩٩.

(٦٤) ابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٢/ ٣٩٨.

(٦٥) ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خ ت ل).

(٦٦) ينظر: الراضي، د.رشيد، الحجاج والمغالطة: من الحوار في العقل إلى الحوار في الحوار، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، ص٨.

٦٧) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية (مرجع سابق)، ص٧٤

٦٨) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، ص٨٧٩.

٦٩) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، (مرجع سابق)، ص١٩٥.

٧٠) المرجع نفسه، ص٥٤٩.

٧١) ينظر: رمضان، أ.د.صالح بن الهادي، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥م، ص١١٥.

٧٢) ينظر: المرجع نفسه، ص١١٦.

٧٣) ينظر: المرجع نفسه، ص١١٦.

(٧٤) ينظر: مشبال، د.محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م، ص٢٧٢.

(٧٥) غريماس، ألجير داس.ج.، فونتني، جاك، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، (مقدمة المترجم)، ص١٠

(٧٦) بغوره، د.الزواوي، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل دراسة في الفلسفة الاجتماعية، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط١، نيسان أبريل ٢٠١٢م، ص١٦.

(٧٧) بغوره، د.الزواوي، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل دراسة في الفلسفة الاجتماعية، (مرجع سابق)، ص١١٣.

٧٨) الشهراني، خالد بن محمد بن صالح بن زريق، التطور الدلالي في سورة القلم المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، المجلد ١٤، العدد ٣٨، يوليو- سبتمير ٢٠١٠م، الصفحات٢٧١- ٢٨٢، ص٢٧٦.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١. آلن، بيم ب .آلن ، نظريات الشخصية، ترجمة أ.علاء الدين كفافي و آخرين، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمَّان ، ط ٢ ، ١٤٣٤ه – ٢٠١٣م .

٢. مام، د.غادة، جاستون بلاشلار، جماليات الصورة، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع، ط١، ٢٠١٠م.

٣. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.

٤. بغوره، د.الزواوي، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل دراسة في الفلسفة الاجتماعية، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط١، نيسان أبريل ٢٠١٢م.

٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦. بوردع، عبد الرحمن، التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني، ، بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥م.

٧. الجاحظ، الحيوان، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٤- ٢٠٠٣م.

٨. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٩. ابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ه.
١٠. حسان، رمضان محمد محمود، البلاغة القرآنية في سورة القلم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد ٢٧ الجزء الرابع، ٢٠٠٩م، الصفحات ٢٠١٩-٢١٢٣.
١١. حمداوي، د.جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م.
١٢. خالفي، حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١م
١٣. الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه- ١٩٧٥م.
١٤. دراز، محمد بن عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٨- ١٩٩٨م.
١٥. دراز ، د. محمد عبدالله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ،اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، دار القلم للنشر والتوزيع ، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٦. الشهراني، خالد بن محمد بن صالح بن زريق، التطور الدلالي في سورة القلم المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، المجلد ١٤، العدد ٣٨، يوليو- سبتمبر ٢٠١٠م، الصفحات٢٧١- ٢٨٢.
١٧. الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد، التفسير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت ، ط ١، ١٤٠١ه- ١٩٨١م.
١٨. الراضي، د.رشيد، الحجاج والمغالطة: من الحوار في العقل إلى الحوار في الحوار، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.
١٩. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٨، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٠. رمضان، أ.د.صالح بن الهادي، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥م.
٢١. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.
٢٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢٣. السلمي، عبدالرحمن بن رجاء الله، جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، مج ٦, ع ١٢، ٢٠١٢م، معهد الامام الشاطبي - مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٢١٧-٢٧٦.

٢٤. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات ، تحرير محمد عبد الله دراز، دار المعارف، بيروت.
٢٥. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
٢٦. صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٧. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤ م.
٢٨. عبد الرحمن، د.عائشة، بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف القاهرة، ط٧.
٢٩. بن عبد العالي، عبد السلام، الفلسفة فنًّا للعيش، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ٢٠١٢م.
٣٠. عصفور، د.جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،
٣١. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م.
٣٢. علوش، د.سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.
٣٣. علوي، د.حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب، الحديث، إربد،

الأردن، ٢٠١٠م.
٣٤. عمران، أ.د. قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد الأردن، ط١،٢٠١٢م.
٣٥. – غريماس، ألجير داس.ج.، فونتني، جاك، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة٢٠١٠م.
٣٦. فالادون، سيمون كلابيه، نظريات الشخصية ، ترجمة علي المصري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٣ه – ١٩٩٣م.
٣٧. قاسم، د.عدنان حسين، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م.
٣٨. القاضي وآخرون، محمد، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.
٣٩. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٤٠. القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٤١٢ه–١٩٩١م.
٤١. المبخوت، د.شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٦م

٤٢. مريع ، أحمد بن علي ، خطاب الجنون (الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي ، الاستبعاد و النفي)، مكتبة العبيكان للنشر و التوزيع، ط ١، ١٤٣٥ه - ٢٠١٤م.
٤٣. مشبال، د.محمد، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٨ه- ٢٠١٧م.
٤٤. النوري، محمود جواد ، حمد، على خليل ، فصول في علم الأصوات، مطبعة النصر التجارية ، نابلس، ط ١، ١٩٩١م.
٤٥. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، ،أسباب نزول القرآن، تحقيق/ كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.
٤٦. ابن هشام ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق / مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الإحياء العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص	٦٩٣١
٢	Abstract	٦٩٣٢
٣	مقدمة	٦٩٣٣
٤	التمهيد	٦٩٤٠
٥	المبحث الأول متوالية الحجج القرآنية في سورة القلم	٦٩٤٨
٦	المبحث الثاني بلاغة الصورة الحجاجية وأثرها الإقناعي في سورة القلم	٦٩٦٢
٧	الخاتمة والنتائج	٦٩٧٨
٨	هوامش البحث	٦٩٧٩
٩	المصادر والمراجع	٦٩٨٥
١٠	فهرس الموضوعات	٦٩٩١

تم بحمد الله